جهود الماتريدية الكلامية في خدمة العقيدة الإسلامية

أ.د/ كمال الدين نور الدين مرجوني

أستاذ مشارك بقسم العقيدة والأديان – جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

Universiti Sains Islam Malaysia (USIM)

kamaluddin@usim.edu.my / kamalnurdin@yahoo.com - Office: 606-7988738 - HP: 60-173786705

الملخص

النظرة إلى الفرق الإسلامية التي لها علماء متكلمون قادوا مسيرة الجدل العقائدي داخل مذاهبهم، نجدها أربع فرق كبيرة وهي: الخوارج، والشيعة، والمعتزلة، وأهل السنة والجماعة. وتُعدّ الماتريدية فرقة أنشأها الإمام أبو منصور الماتريدي وهو من مؤسسي علم الكلام السني الذي يقوم على الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة. وهذا البحث جاء لاستخلاص شيء من دور الماتريدية في خدمة العقيدة الإسلامية والتي تغيب ذكرها عند كتاب الملل والفرق والمقالات والسير قديما. وتوضيح شهرة الماتريدية في جنوب شرق آسيا بأنه سني إلى جانب الأشعرية، وأكدّ البحث بأن الماتريدية قد تعامل مع التحدَّيات الفكرية التي مرَّ بها المجتمع المسلم في جميع القضايا الكلامية، وذلك من خلال ردودها على الجهمية، والخوارج، والمعتزلة، والشيعة.

الكلمات المفتاحية: الماتريدية، الملل والفرق، علم الكلام السني.

KAMALUDDIN
NURIDDIN MERJUNI

جهود الماتريدية الكلامية في خدمة العقيدة الإسلامية

المقدمة

هذا بحث عن جهود الماتريدية الكلامية في إثبات حقائق العقيدة الإسلامية، ومن المعروف أن الماتريدية فرقة من أهل السنة والجماعة جاءت موضحة للقضايا العقائدية وتحدّياتها. وعلم الكلام الماتريدي يقوم شاهدا على الدور التاريخي في الدفاع عن العقيدة الإسلامية أمام مختلف التيارات والأفكار والمسائل الكلامية وأمورها التي كانت تحوم حول هذه العقيدة بغية تشويهها وتحريفها.

ويأتي هذا البحث للإجابة عن أربعة أسئلة:

الأول: كيف كانت نشأة الماتريدية؟.

الثاني: ما سِرُّ إهمال المؤرخين القدامى من ذكر الإمام الماتريدي؟.

الثالث: ما مدَى شهرة الماتريدية في جنوب شرق آسيا؟.

الرابع: كيف يواجه الماتريدية الفرق الأخرى؟.

المبحث الأول: وقفة مع فرقة الماتريدية

تُعدُّ الماتريدية إحدى الفرق الإسلامية التي ظهرت في أوائل القرن الرابع الهجري في سمرقند من بلاد ما وراء النهر، وقد عرف الأوروبيون هذه المنطقة حتى بداية القرن العشرين باسم "ترانسا وكسانيا" (Transoxiana)، وعرفت بلاد ما وراء النهر فيما بعد باسم "تركستان"، وعرف تحت حكم الاتحاد السوفيتي السابق (Soviet Union) باسم جمهوريات آسيا الوسطى السوفيتية. ودعت هذه الفرقة إلى مذهب أهل السنة والجماعة، وسمِّيت بـ (الماتريدية) نسبة إلى مؤسِّسها محمد بن محمد السمرقندي الماتريدي. ولد بها ولا يعرف على وجه التحديد تاريخ مولده. وتوفي –رحمه الله تعالى– عام (٣٣٣هـ)، وقيل عام ٣٣٢هـ و عام ٣٣٦هـ والأول أصح، ودفن بسمرقند [١]. وقد أطلق على الإمام الماتريدي عدة ألقاب على علو مكانه العلمي في الدراسات الكلامية، ومن هذه الألقاب: "إمام المهْدى"، و"إمام المتكلِّمين"، و"إمام أهل السنة". فقال عنه عبد الله مصطفى المراغي: "كان أبو منصور قويَّ الحجة، مُفحِمًا في الخصومة، دافعَ عن عقائد المسلمين، وردَّ شبهات الملحدين ..."[٢]. وقال عنه الشيخ أبو الحسن الندوي:

---

[١] نشأة الفرق وتفرقها، كمال الدين نور الدين مرجوني، ص ٢١٦ وما بعدها، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ٢٠١١م.

[٢] الفتح المبين في طبقات الأصوليين، عبد الله مصطفى المراغي، ١٨٢/١، ١٨٣، نشره محمد علي عثمان، القاهرة، ١٩٤٧م.

"جهبذ من جهابذة الفكر الإنساني، امتاز بالذكاء والنبوغ وحذق الفنون العلمية المختلفة"[٣]. وذكر الشيخ طاش كبري زاده بأن رئيس أهل السنة والجماعة في علم الكلام رجلان: أحدهما: حنفي، وهو الإمام أبو منصور الماتريدي، والآخر: شافعي، وهو الإمام لأشعري[٤].

والنظر إلى هذه الألقاب المتنوعة، إن دل على شيء فإنما يدل على مدى جهوده الكبيرة ومكانته العلمية في خدمة العقيدة الإسلامية.

وافق هذه الفرقة منهج المذهب الحنفي فقهاً وكلاماً، حيث إن أسس ومبادئي هذه الفرقة تعتمد على المذهب الحنفي سواء كان في القضايا العقائدية أوالفقهية[٥]، فقد تلقَّى مؤسِّسُ الفرقة أبو منصور الماتريدي العلم والحديث على يد كبار علماء المذهب الحنفي من أمثال: أبو بكر أحمد بن إسحاق الجوزجاني (ت ٢٠٠هـ)، ومحمد بن مقاتل الرازي (ت ٢٤٨هـ)، نصير بن يحيى البلخي (ت ٢٦٨هـ) ، وأبي نصر أحمد بن العياضي[٦]. ومن هنا، ذهب الكثير من علماء الحنفية إلى أن النتائج التي وصل إليها الإمام الماتريدي تتفق تمام الاتفاق مع ما قرره الإمام أبو حنيفة في العقائد[٧]. وتجدر الإشارة إلى أن الإمام الماتريدي كان معاصراً للإمام الأشعري، هذا في سمرقند وذاك في البصرة وكان عصرهما مليئا بالحركات الدينية وتياراتها، كالصوفية ورجالها الكبار أمثال أبي يزيد البسطامي، والجنيد، والحلاج، كما نشطت فيه الحركات الشيعية، وكانت حركة الاعتزال في آخر أيامها، وكان لكل مذهب علماء يؤيدونه ويأخذون بمناصرته، وقد اتفق الماتريدي والأشعري على كثير من المسائل الأساسية. بل أن الإمام الماتريدي أسبق من الإمام الأشعري في نصرة أهل السنة والجماعة. وإليه ترجع بداية علم الكلام السني.

وعلى أية حال، فإن لأنصار أبي منصور الماتريدي —كغيره من أئمة المذاهب— الدور المهم والفعال في إنضاج المذهب ونصرته، ونشره، وإشاعته، فقد كافحوا الشيعة والحشوية على مر التاريخ وخصوصاً في عصر الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثري، وكان على رأسهم في تحمل تلك المسؤولية الجسيمة كبار علمائهم ومفكر يهم أمثال: أبي اليسر محمد بن محمد البزدوي، وأبي المعين محمد بن محمد النسفي، ونجم الدين عمر بن محمد الحنفي النسفي وغيرهم من العلماء.

---

[٣] رجال الفكر والدعوة، أبو الحسن الندوي، ص ١٣٩، دار السلام، القاهرة — مصر، ٢٠١١م.

[٤] مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، طاش كبري زاده، ١٥٢/٢، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٩٣م.

[٥] مدخل إلى علم الكلام، كمال الدين نور الدين مرجوني، ص ٢٠٨، جامعة العلوم الإسلامية الماليزية، ٢٠١١م.

[٦] الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبد القادر القرشي، ٥٦٢. مير محمد كتب خانه، كراتشي. تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، ٧٣/١، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، ٢٠٠٤م.

[٧] أبو حنيفة النعمان وآراؤه الكلامية، شمس الدين عبد اللطيف، ص ١١٠، رسالة ماجستير بكلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مصر، ١٩٩٩م. بإشراف: أ.د/ أحمد محمود صبحي. وراجع: البياضي، إشارات المرام ، ص ٢٥٤.

بالإضافة إلى أن الماتريدية بلغت قمة قوتها وذروتها بتدعيم الدولة العثمانية لها وهي بالتحديد سنة (٧٠٠ – ١٣٠٠هـ)، إذ كانت الدولة حنفية الفروع، ماتريدية العقيدة، ومن تركيا انتشرت العقيدة الماتريدية شرقا وغربا، ويعد الهند من أهم مراكز المذهب الماتريدي، منذ أن حكمها الملوك السامانيون قديما، ثم قوي المذهب الماتريدي في العصر الحديث بعد أن اعتنقها الديوبنديون. ولا يزال في الأزهر الشريف تدريس العقيدة الماتريدية وبخاصة تدريس كتاب "شرخ العقائد النسفية" للتفتازاني، وهو شرح لكتاب " العقائد النسفية" لنجم الدين عمر النسفي المتوفى سنة (٥٣٧هـ). وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على اعتراف الأزهر الشريف بهذه المدرسة الكلامية السنية.

المبحث الثاني

الإمام الماتريدي في منظور كُتَّاب المقالات والملل والسير قديما

يبدو أن هناك إهمال من المؤرخين القدامى، وكتب التراجم ذكر الإمام الماتريدي، وتوضيح مراحل حياته العلمية وبخاصة في إبراز دوره وجهوده في خدمة العقيدة الإسلامية، بل ربّما أهمل المؤرخون الإشارة إليه عندما يجب ذكره أو الإشارة إليه، فلا شك أنّ الإمام أبو منصور الماتريدي إمام أهل السنة –بجانب الإمام أبو الحسن الأشعري–، ولكن الأول ما نجده من العناية القصوي بالذكر ولا الإشارة إليه في كتب التراجم كما حدث للثاني.

ولعلّ إحدى الدوافع إلى هذا، هي أنّ الإمام الأشعري نشأ في مركز العالم الإسلامي أو الخلافة الإسلامية وهو (العراق)، وجادل المعتزلة كثيرا –بعد عن كونه معتزليا في أربعين عاما–، فهذا يجعل شهرته تزداد يوما بعد يوم، ويكون الإمام أبو الحسن الأشعري أمام أعين الناس، حيث يحاضر ويجالس ويناقش العلماء في مدن وولايات بغداد كعاصمة الإسلام. وأما الإمام أبو منصور الماتريدي فكان بعيداً عن بغداد.

ويهذا نرى المؤرخ المشهور ابن النديم (تـ٣٨٤هـ) لم يترجمه في فهرسته، وفي الوقت نفسه ترجم الإمام أبا الحسن الأشعري. ومن المفروض أن يترجمه أيضا، وذلك أن ابن النديم كاتب سيرة وكان أبوه ورَّاقا[٨]، فعاش ابن النديم وعمل كاتباً وخطاطا ونساخا للكتب وهي مهنة ورثها عن أبيه. يقول ابن النديم في بداية الفهرست مدَّعِيا أن كتابه شامل لجميع الترجمات والشخصيات الموجودة في عصره : "هذا فهرست كتب جميع الأمم، من العرب والعجم، الموجود منها بلغة العرب وقلمها، في أصناف العلوم وأخبار مصنفيها، وطبقات مؤلفيها، وأنسابهم وتاريخ مواليدهم، ومبلغ أعمارهم وأوقات وفاتهم، وأماكن بلدانهم ومناقبهم

---

[٨] الورَّاق هو الرجل الذي يحترف الوراقة، وهي مهنة كانت شائعة في البلاد الإسلامية في العصور الوسطى، وكانت تقوم آنذاك مقام مهنة الطباعة والنشر. تشتمل على أعمال النسخ والتصحيح والتجليد والتصوير والخط والتذهيب وتزويق الكتب وبيع الورق والأحبار وسائر أدوات الكتابة. الوراقة والوراقون في الشرق الإسلامي عبر العصور الإسلامية. عبد الحسين مهدي الرحيم، دراسات في التاريخ والآثار، العدد ٥، سنة ١٤٠٧ هـ، ص ١٨٦ ـ ٢١١.

ومثالبهم، منذ ابتداء كل علم اخترع إلى عصرنا هذا، وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمئة للهجرة"[٩]. مع أن الكتاب خال من ذكر الإمام أبي منصور الماتريدي. وآخرون ألفوا في كتب التراجم، والطبقات ولم يذكروا كذلك الإمام أبو منصور الماتريدي في كتبهم، مثل: "الأنساب" للسمعاني (ت ٥٦٢هـ). "وفيات الأعيان" لابن خلكان (ت ٦٨١هـ)، "الوافي بالوفيات" للصفدي (ت ٧٦٤هـ). "سير أعلام النبلاء" للذهبي (ت ٧٤٨هـ). "لسان الميزان" لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ).

وإذا تصفَّحْنا كتب الملل والمقالات من أمثال: البغدادي (ت ٤٢٩هـ) في "الفرق بين الفرق"، وابن حزم (ت ٤٥٦هـ) في "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، والإسفراييني (ت ٤٧١هـ) في "التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين"، والشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) في "الملل والنحل"، فهم لم يذكروا شيئا عن الإمام الماتريدي لا من قريب ولا من بعيد. وهكذا أيضا لم يذكر أصحاب كتب العقيدة والأديان منها: كتاب "اعتقادات فرق المسلمين والمشركين" لفخر الدين الرازي، مع أنه ناظر علماء الماتريدية. وعلى الرغم من ذلك أشار في كتابه الآخر: "محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين" باصطلاح "فقهاء الحنفية" في قوله: "زعم بعض فقهاء الحنفية أن التكوين صفة أزلية لله تعالى وأن الكون المكون محدث"[١٠]. ويقصد به علماء الكلام الماتريدي.

ومن الغريب عدم ذكر الإمام الماتريدي في "طبقات المفسرين" للسيوطي (ت ٩١١هـ)، مع أن الإمام الماتريدي مؤلف كبير في التفسير المعروف بـ : "تأويلات القرآن" المكونة من ١٨ مجلدات، طبعة دار الميزان التركية، ٢٠٠٥م[١١].

ويلاحظ صاحب كتاب "الماتريدية –دراسة وتقويما–"[١٢]. بأن من أسباب الإهمال عدم ذكر الإمام الماتريدي في كتب الملل والمقالات والسير وهي:

- الأول: بُعدُ الإمام الماتريدي عن مركز الخلافة، حيث يتوافد إليها أكثر العلماء من مختلف البقاع الإسلامية.
- الثاني: عدم دعم الماتريدية في عصورها الأولى بقوة سياسية كما دعمت المعتزلة والأشعرية.
- الثالث: عدم ارتحال الماتريدي إلى المراكز العلمية في العالم الإسلامي، كمكة والمدينة وبغداد ودمشق وغيرها. إذْ أنه لو زار تلك البلاد والتقى بعلمائها وناظر فيها، لاشتهر وعرف وذكر في تواريخ تلك المدن.

---

[٩] الفهرست، ابن النديم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، بدون تاريخ.

[١٠] محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، الرازي، ص ١٨٩، مكتبة الأزهرية، القاهرة، بدون تاريخ.

[١١] الكتاب يمكن تنزيله كاملا بالموقع التالي:
https://archive.org/details/taawilatquran/mode/1up.

[١٢] الماتريدية –دراسة وتقويما–، ٨٣–٨٤، أحمد الحربي، دار العاصمة للنشر والتوزيع، السعودية، ١٤١٣هـ.

- الرابع: تأخر عهد تأليف الحنفية في طبقات علماء مذهبهم، إذْ أن أول مؤلف في طبقات الحنفية، هو (الجوهر المضية) لعبد القادر القرشي المتوفى عام ٧٧٥هـ.

وعلى العموم، أتفق مع هذه الملاحظة بالإضافة إلى سبب آخر –على حدّ معرفتي القاصرة– وهو عدم وجود المؤلفين القدامى في التأريخ للفرق والملل من علماء الماتريدية، كما نجدها عند الفرق الكلامية الأخرى من أمثال الأشعرية، فكثير من علمائهم ألَّفوا وسجَّلوا عقائدهم من ضمن دراساتهم وبحوثهم في الفرق والملل، ونذكر على سبيل المثال: البغدادي (ت ٤٢٩هـ) في "الفرق بين الفرق" و"كتاب الملل والنحل"، والإسفراييني (ت ٤٧١هـ) في "التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين"، والشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) في "الملل والنحل".

وعن الظاهرية، فقد سجل ابن حزم (ت ٤٥٦هـ) في "الفصل في الملل والأهواء والنحل" آراء مذهبه الظاهري الكلامي. مع أن هذا المذهب يتقدم بطيئة، والسبب الرئيس هو عدم تبني السلاطين للمذهب الظاهري إلا قليل منه[١٣]، بالإضافة إلى عدم وجود علمائهم يقومون بالكتابة والتدوين والنشر، فصار من الصعب اليوم اعتماد مذهب الظاهرية إلا تقليداً لابن حزم[١٤].

وفي التاريخ للمعتزلة نجد من مصادر الإعتزالية كتاب "فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة"، وهذا الكتاب ضمنه مؤلفه تراجم القائلين بالعدل في مختلف الأمصار البلدان الإسلامية. ويحوي الكتاب على ثلاث نصوص، بعدها مكمل للآخر، أولها: باب ذكر المعتزلة، من كتاب (مقالات الإسلاميين) لأبي القاسم عبدالله البلخي (ت ٣١٩هـ)، تناول فيه نشأة الاعتزال، وأصل الكلمة وما دار حولها من خلاف. وثانيها: طبقات المعتزلة، للقاضي عبدالجبار الهمذاني (ت ٤١٥هـ)، أرخ فيه لعشر طبقات من المعتزلة. وثالثها: طبقتان هما الحادية عشرة، والثانية عشرة، من كتاب (شرح عيون المسائل) للحاكم الجشمي (ت ٤٩٨هـ) ويُعدُّ هذا الكتاب مصدرا من المصادر الأساسية لدراسة فرقة المعتزلة ورجالها.

وفيما يتعلق بتأريخ العقيدة الإباضية، هناك للإباضية كتاب بعنوان: "طبقات المشائخ بالمغرب"، للدرجيني المتكلم الإباضي (ت ٦٧٠هـ) فهو مؤرّخ، وضع كتابه في جزأين، وجعل كلَّ طبقة خمسين سنة، بدأ بالطبقة الثانية (٥٠هـ- ١٠٠هـ/٦٧٠-٧١٨م)، ولم يتكلَّف الكتابة في الطبقة الأولى، لأنَّها في اعتقاده أشهر من أن يضيف إليها شيئا، ولذلك جاء أبو القاسم البرادي بعده بقرنين تقريبًا (كان حيا حوالي

---

[١٣] وقد ثبت وجود دولة خلفاؤها ظاهريون وقضاؤها ظاهريا، فقد كان لهذا المذهب دولة في الأندلس زمن الموحدين استمرت مائة واثنتان وخمسون سنة من عام ٥١٥ إلى عام ٦٦٨وكان الخليفة ظاهريا، والقضاة يقضون على هذا المنهج، ثم كان لها ظهور في تونس على أيدي الحفصيين من عام ٦٢٥ إلى عام ٩٤١، ثم عاود المذهب المالكي ظهوره على أنقاض المنهج الظاهر. انظر: المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس، د. توفيق بن أحمد الغلبزوري الادريسي، ص ٦١٧ ومابعدها، دار ابن حزم ، الرياض، الطبعة الاولى ١٤٢٧هـ.

[١٤] نشأة الفرق وتفرقها، كمال الدين نور الدين مرجوني، ص ٢٥٣، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠١١م.

٨١٠هـ) ليكتب: "الجواهر المنتقات فيما أخل به كتاب الطبقات"، وهو من وراء كتابه هذا يهدف إلى تبيين أنَّ هذا الدين ورد إلينا بالتواتر، جيلا عن جيل، وطبقة عن طبقة. والحقيقة أنَّ طبقات الدرجيني مجموعة من السير والتاريخ والفقه، وهو مفيد في تاريخ الإباضية بالمغرب، وتعتبر طبقات الدرجيني إحدى المصادر المهمَّة لهذا المعجم، وكثيرا ما ألفينا عنده الجواب فيما يتعلَّق بالتواريخ خاصة [١٥].

وفي الحديث عن فرقة الشيعة، فنجد مثلا من كتب الشيعة الإمامية الإثنى عشرية "المقالات والفرق" لسعد القمي (تـ ٣٠١هـ)، "كتاب فرق الشيعة" للنوبختي (تـ ٣١٠هـ). وجاء بعد ذلك الشيخ المفيد (تـ ٤١٣هـ) وهو أبرز متكلمي الشيعة، حيث كتب كتابة للتعريف عن فرقة الشيعة في كتابه: "الفصول المختارة".

ومن كتب الشيعة الزيدية كتاب كتبه أحمد بن يحيى المرتضى (تـ ٨٤٠هـ) باسم "المنية والأمل في شرح الملل والنحل". وهو في الحقيقة زيدي معتزلي، بل كتب كتابا بعنوان: "طبقات المعتزلة". وهذا الكتاب جزء من كتابه السابق. ويذكر المؤلف في هذا الكتاب فرق المعتزلة بالتفصيل مع ذكر ما انفردت به كل واحدة منها من القول، ويعتمد في ذلك على كتاب "الملل والنحل" للشهرستاني.

المبحث الثالث

الماتريدية في جنوب شرق آسيا

قال الزبيدي في الإتحاف: "إذا أطلق أهل السنة والجماعة فالمراد بهم الأشاعرة والماتريدية"[١٦]. وقال ابن حجر الهيتمي في الزواجر: "المراد بالسنة ما عليه إماما أهل السنة والجماعة الشيخ أبو الحسن الأشعري وأبو منصور الماتريدي، والبدعة ما عليه فرقة من فرق المبتدعة المخالفة لاعتقاد هذين الإمامين وجميع أتباعهما"[١٧]. وهذا الكلام ينطبق في جنوب شرق آسيا، حيث إذا ذكر أهل السنة والجماعة فالمراد هم الأشاعرة والماتريدية عقيدةً وفكرًا[١٨].

---

[١٥] الإباضية في موكب التاريخ، علي يحيى معمر، ١٣٢/٢-١٣٣، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب – سلطنة عمان، ٢٠٠٨م.

[١٦] اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، الزبيدي، ٦/٢، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت–لبنان، ١٩٩٤م.

[١٧] الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي، ١٦٥/١، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ١٩٩٩م.

[١٨] مؤتمر أهل السنة والجماعة بجامعة تون عبد الرزاق، ماليزيا، ١ أبريل ٢٠١٧م.
http://www.utusan.com.my/rencana/utama/manhaj-aswj-perlu-dipertahankan-1.465334

والأشعرية والماتريدية –كممثلين لعقيدة أهل السنة والجماعة– في المجتمع الملايوي بجنوب شرق آسيا وخاصة في ثلاث دول وهي: ماليزيا وإندونيسيا وبروناي دار السلام، فهم أغلب المسلمين في البلاد على عقيدة أهل السنة والجماعة سواء كانت أشعرية أو ماتريدية، والسبب في ذلك لأن آراء وأفكار هذين الفرقتين في غاية التسامح مع الآخر، فهم قادرون على استيعاب التعدّد والاختلاف والتعايش بين الفرق الإسلامية، بل الأديان الأخرى في دولة واحدة. وهذا مما يؤدِّي إلى نجاح الدّعوة الإسلامية المعتدلة. حيث يقوم الأشعرية والماتريدية بدور مهم في منع انتشار التطرّف والإرهاب وسط هذه الأمة.

ونظَّمتْ كلية أصول الدين بجامعة السلطان الشريف علي الإسلامية (**UNISSA**) بروناي دار السلام، المؤتمر الإقليمي حول جهود الأشاعرة والماتريدية في خدمة العقيدة الإسلامية تحت شعار "نحو تعزيز العقيدة الإسلامية"، وذلك يومي الأربعاء والخميس ٠٤ – ٠٥ ذي القعدة ١٤٣٥هـ / ١٩ – ٢٠ أغسطس ٢٠١٥م. وتركزت أهداف المؤتمر على الحديث عن المحاور الآتية: دراسة أعلام الأشاعرة والماتريدية وجهودهم في خدمة العقيدة الإسلامية، والمدرسة الأشعرية والماتريدية في جنوب شرق آسيا، وموقف المدرسة الأشعرية والماتريدية من الفرق الإسلامية، ودراسة تقويمية للمذاهب العقدية لدى العلماء المعاصرين على منظور الأشاعرة والماتريدية، وجهود الأشاعرة والماتريدية في خدمة العلوم الإسلامية المتعددة والمعارف الإنسانية، وتوظيف المنهاجية الفكرية والعقدية والسلوكية للأشاعرة والماتريدية في عصرنا الحاضر.

وأكّد المؤتمر بأن أهل السنة والجماعة هم الأشاعرة والماتريدية الذين شهد لهم التاريخ الإسلامي المنصف برسوخهم في العلم والمعرفة، ووسطيتهم في المنهاج الفكري والعقدي والسلوكي، ومرونتهم في التعامل مع الواقع المعاش بين الأسر الإنسانية المختلفة، وقدرتهم على التوحُّد تحت سقف المودة، والمحبة، والتعايش السلمي عبر العصور؛ وهو أمر يمثل – في حدّ ذاته – سلسلة ذهبية لما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين. وهذا يعني أن الأزمات التي تواجهها الأمة في الآونة الأخيرة لن تجد حلاً إلا بالعودة إلى منهاج السواد الأعظم من أهل السنة والجماعة، الذين وُفّقوا في نشر هذا الدين العظيم في مشارق الأرض ومغاربها، وحُبِّبوا إلى أهل هذه البلاد –أي دولة بروناي دار السلام– المتنائية التمسك به عقيدة وشريعة وأخلاقا[١٩].

وقد جعلت الحكومة الماليزية الإسلام دين الدولة والمجتمع، على الرغم من أن المجتمع الماليزي مجتمع متعدد الأديان، ولكن الإسلام هو أكبر الأديان في جميع المحافظات، وهو ما يقرب من ٦٥ % من السكان المسلمون، وأما بقية الأديان فهي البوذية، والمسيحية، والهندوسية، وغيرها من الديانات. إذن الإسلام في

---

(١٩) www.unissa.edu.bn

ماليزيا هو الدين الرسمي للدولة. وتعتبر عرقية الملايو (Melayu) بأجمعها مسلمة كما هو محدَّد في المادة ١٦٠ من دستور ماليزيا[٢٠].

ويضمن الدستور الماليزي الحرية الدينية، ويجب على الشعب المسلم متابعة قرارات المحاكم الشرعية عندما يتعلق الأمر في المسائل المتعلقة بدينهم. ويفترض بالقضاة الشرعيين أتباع المذهب الشافعي والذي هو المذهب الرئيس في البلاد. فتقتصر أعمال هذه المحاكم على قضايا المسلمين فقط مثل الزواج والميراث، والردة وتحول الدين، والحضانة وغيرها. ومن هنا لا تخضع الجرائم الجنائية أو المدنية لاختصاص المحاكم الشرعية، التي لها تسلسل هرمي مماثل للمحاكم المدنية. رغم كون المحاكم المدنية هي المحاكم العليا في البلاد، فإنها لا تستطيع (بما في ذلك المحكمة الاتحادية) من حيث المبدأ نقض أي قرار يتخذ من قبل المحاكم الشرعية.

إضافة إلى أن الإسلام دين رسمي للدولة فإنها تعتمد على عقيدة أهل السنة والجماعة، وفي معظم الولايات الماليزية تنص التشريعات الإسلامية باعتماد الدين الإسلامي على عقيدة أهل السنة والجماعة، بل يتم التحديد تشريعيا في ولاية جُوْهُرْ (Johor) على أن أهل السنة والجماعة هنا هم الأشاعرة والماتريدية. وأما ولاية بِيْرَاكْ (Perak) فينص على الاعتماد على المذهب الشافعي[٢١].

وعلى أية حال، فإن الدولة الماليزية جعلت أهل السنة والجماعة مصدرا للإدارة الإسلامية وشرطا في تعيين المناصب الدينية الإسلامية.

المبحث الرابع

جهود الماتريدية الكلامية في الرد على الفرق الأخرى

إن التأريخ عند علماء المسلمين وبخاصة عند علماء الكلام لم يكن جهدا علميا بحت، فله دائرته، وحدوده، بل كان في أحيان كثيرة ومناسبات متعددة، يُكتب كوسيلة من وسائل الرد على الخصوم، أو دعم الأنصار. والماتريدية على كونهم مدافعين عن عقيدة أهل السنة والجماعة فلهم فضل كبير في هذا المجال على مرور الزمن لاهتمامهم بالرد على من خالف عقيدة أهل السنة والجماعة. ولذلك تُمثِّل الماتريدية اتجاها فكريا إسلاميا معتدلا من غير تعصب، بل حاولوا تقديم الإسلام وتصوره بطريق التسامح، ورفض التطرف بكافة أشكاله وأنواعه. وهذه ميزة من مميزات الماتريدية عن غيرها من الفرق الكلامية بمنهجهم الوسطي في تقرير القضايا الإعتقادية[٢٢].

---

(٢٠) Federal Constitution of Malaysia, Reprint as at 1 November 2010

(٢١) Seksyen 39, Enakmen Pentabiran Agama Islam Perak, 1992

(٢٢) وسطيقة الإمام الماتريدي في تقرير العقيدة الإسلامية، كمال الدين نور الدين مرجوني، ٧٥١-٧٥٩، ضمن بحث المؤتمر المنعقد بكلية الإلهيات، جامعة مرمرة سنة ٢٠١٨م بعنوان: "الإمام الماتريدي وتأويلات القرآن"، وطبع البحث

واضح من جهود الماتريدية الكلامية في تناولهم للقضايا العقائدية، حيث إن جهودهم تظهر من كتبهم العقائدية وعدد من مؤلفات علمائهم في الرد على الفرق المخالفة للإسلام كالجهمية، والخوارج، والشيعة، والمعتزلة. فقاموا لإثبات حقائق العقيدة الإسلامية بمواجهة هؤلاء الفرق والتيارات باسخدام البراهين والدلائل العقلية الكلامية.

وفيما يلي الحديث –بإيجاز شديد– عن ردود الماتريدية على الجهمية، والخوارج، والمعتزلة، والشيعة:

الرد على الجهمية

وقد حاول الإمام الماتريدي نفسه أن يبطل رأى الجهم بن صفوان القائل بأن الجنة والنار تفنيان، فانتقد الإمام الماتريدي هذا الرأي مستدلا بقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِيْنَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ –البقرة: ٢٥–، " فالآية ترد على الجهمية قولهم، لأنهم يقولون بفناء الجنة وفناء ما فيها، ويذهبون إلى أن الله تعالى هو الأول والآخر والباقي، ولو كانت الجنة باقية غير فانية لكان ذلك تشبيها ... لكن ذلك وهم عندنا، لأن الله تعالى هو الأول بذاته، والآخر بذاته، والباقي بذاته، والجنة وما فيها باقية بغيرها، ولو كان فيما ذكر تشبيه لكان في (وصفه تعالى بأنه) العالم والسميع والبصير تشبيه، ولكان في الخلق أيضا في حال البقاء تشبيه، فإذا لم يكن فيما ذكرنا تشبيه لم يكن فيما تقدم تشبيه أيضا، كما أن الله تعالى جعل الجنة دار مطهرة عن المعايب كلها، ولو كان آخرها الفناء، لكان فيها أعظم المعايب، إذ المرء لا يهنأ بعيش إذا نغص، عليه بزواله، فلو كان آخره للزوال كان نعمته منغصة على أهلها، فلما نزه عن العيوب كلها كان التخليد لأهلها أولى بها[٢٣].

وأما الدليل على بقاء النار، فيستند الماتريدي إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِيْنَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَآ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ –البقرة: ٣٩–، يقول الإمام الماتريدي عن هذه الآية: "تنقض على الجهمية، لأنهم يقولون بفناء الجنة والنار، وانقطاع ما فيهما ... (فقد) أخبر عز وجل أن الكفار في النار خالدون، وأن عذابها أليم شديد، فلو كان فهم رجاء النجاة منها، هان ذلك عليه"[٢٤].

وفي موضع آخر أكد أبو المعين النسفي بقاء الجنة والنار مناقشا للجهمية بأن أهل السنة والجماعة متفقين على أن: "الجنة والنار دار الخلد، وهما للثواب والعقاب فلا يفنيان ... ولأنه لا يجوز منه الظلم والجور"[٢٥].

في كتاب بعنوان: İmâm Mâtürîdî Ve Te'vîlâtü'lkur'ân، Marmara Üniversitesi İlahiyat، Istanbul 2019.

[٢٣] تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، ص ٧٥ – ٧٦، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، ٢٠٠٤م.

[٢٤] تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، ص ١٢١ – ١٢٢، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، ٢٠٠٤م.

[٢٥] بحر الكلام، أبو المعين النسفي، ص ٢٠٠، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان–الأردن، ٢٠١٤م.

الرد على الخوارج

ظهر الخوارج في مناسبة "حرب صفين" التي دارت المعركة بين صفوف علي بن أبي طالب، وهي الخليفة الشرعي بعد وفاة عثمان من جهة، وبين معاوية من جهة أخرى. والمعروف في هذه القضية التاريخية هو رفع شعار "التحكيم" من قبل معاوية. وعندما وافق عليٌّ على التحكيم رفضت حينها جماعة من جيشه هذا التحكيم. فهؤلاء الجيش فيما بعد شكَّلُوا فرقة أخرى المعروف بـ "الخوارج"، وذلك لخروجهم من صفوف جيش عليٍّ.

يناقش الماتريدية رأى الخوارج في قضية مرتكب الكبيرة بخروجه من الإيمان ودخوله في الكفر، وتجرى عليه أحكام الكفرة[٢٦]. يرى أبو المعين النسفي خطأ هذا الرأى لما فيه من المغالطات والتشدد والتطرف الفكري، وذلك لضرورة التفرقة بين حال مرتكب الكبيرة، وحال المشرك، وحال النفاق وأن مركتب الكبيرة لا يدخل في الكفر لأنه لا يشرك بالله عز وجل، فهو إذن بقي مؤمنا بإيمانه: "إن الله تعالى أبقى الإيمان، وكذا الإشراك اعتقاد شريك الله تعالى إما في العبادة كمشركي العرب، وإما في التخليق كالمجوس، وصاحب الكبيرة لا يعتقد ذلك، ولا يشرك البتة بعبادة ربه أحدا، وأن صاحب الكبيرة ليس بداخل في حده، بل هو على الضد من حال المنافق"[٢٧]. وفي موضع آخر من كتابه "بحر الكلام" أورد أبو المعين النسفي شبهة الخوارج في فهمم ظاهر قوله تعالى: (وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا) -النساء: ١٤-. فالخلود هنا إنما يكون لخروجه عن الإيمان. ويجادلهم بقول الرسول ﷺ: (صلوا خلف كل بَرٍّ وفاجِرٍ) [٢٨]. فلو خرج من الإيمان لما أمر بالصلاة خلفه[٢٩].

الرد على المعتزلة

قرر الماتريدية في مسألة القدر بأن المعتزلة هم خصماء أهل السنة والجماعة، وهم القدرية [٣٠]. وفي مكان واحد أورد أبو المعين النسفي رأى ثلاث فرق النافون للرؤية قائلا: "وقالت المعتزلة، والنجارية، والزيدية من الروافض، إن الله تعالى ليس بجائز الرؤية[٣١].

---

[٢٦] العقيدة الإسلامية والقضايا الخلافية عند علماء الكلام، كمال الدين نور الدين مرجوني، ص ٤٩٥ وما بعدها، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ٢٠١٤م.

[٢٧] تبصرة الأدلة في أصول الدين، أبو المعين النسفي، ١٠٥٠/٢-١٠٥١، المكتبة الأزهرية للتراث، ط٢٠١١/١م.

[٢٨] أخرجه الدارقطني في سننه، رقم: ١٧٨٨. مكحول لم يسمع من أبى هريرة ومن دونه ثقات.

[٢٩] بحر الكلام، أبو المعين النسفي، ص ١٥٦-١٥٧، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان-الأردن، ٢٠١٤م.

[٣٠] تبصرة الأدلة في أصول الدين، أبو المعين النسفي، ١٠٢٧/٢ - ١٠٣٢، المكتبة الأزهرية للتراث، ط٢٠١١/١م.

[٣١] تبصرة الأدلة في أصول الدين، أبو المعين النسفي، ٥٨٩/٢، المكتبة الأزهرية للتراث، ط٢٠١١/١م.

ونقطة مهمة هنا خطأ نسبة الزيدية بأنهم من الروافض، وذلك لأن التسمية بـ "الرافضة" تاريخيا ودلالة تبدأ من قوم رفضوا ثورة الإمام زيد ودعوته للخروج على والي العراق في عصره وهو يوسف بن عمر الثقفي، والإمام زيد مؤسسا لهذه الفرقة، ويؤكد ذلك نشوان الحميري (ت٥٧٣هـ) مؤرخ زيدي بقوله : "وسميت الرافضة من الشيعة رافضة، لرفضهم زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وتركهم الخروج معه ، حين سألوه البراءة من أبي بكر وعمر ، فلم يجبهم إلى ذلك[٣٢] . ولعل هذا الذي جعل الجاحظ من المعتزلة يقسم الشيعة إلى فرقتين، إذ يقول : "اعلم رحمك الله أن الشيعة رجلان: زيدي ورافضي، وبقيتهم بدد لا نظام لهم" [٣٣]. ويبدو أنه كان يقصد بالرافضة هنا فرقتين من الشيعة: الإمامية الإثنى عشرية والإسماعيلية الباطنية . فعلى هذا الأساس، أخطأ من ذهب إلى إطلاق لفظ (الرافضة) على جميع فرق الشيعة من غير استثناء[٣٤] كما ذهب إليه معظم كتاب الفرق من أمثال كتاب "الفرق بين الفرق" للبغدادي[٣٥]، وتابعه في ذلك أبو المظفر الإسفرايني كتابه "التبصير في الدين"[٣٦].

وجاهد أبو المعين النسفى نقد اعتراضات المعتزلة القائلون بأن من ذهب إلى إثبات الرؤية من الأشعرية والماتريدية في الحقيقة أنهم وقعوا في التناقض حين أثبتوا الرؤية ونفوا الجهة، ذلك لأنه سلم أن الله ليس في جهة، وادَّعى مع ذلك أنه يرى، فقد أضحك الناس على عقلها" [٣٧]. فأوضح بأن إثبات الرؤية يكون بعدة أدلة منها: سؤال موسى عليه السلام للرؤية، ولو لم يكن مرئيا لكان هذا منه جهلا بخالقه ونسبة الجهل بالله إلى الأنبياء كفر. وأنه تعالى قال لموسى لن تراني ... نفي رؤية موسى إياه، ولم ينف الرؤية. وتعلق الرؤية باستقراء الجبل واستقراره من الجائزات. تجلى ربه للجبل أي كما قال الماتريدي ظهور ربه إلى الجبل، ولكن لا يفهم من ظهوره ما يفهم من ظهور غيره، والعلة المطلقة للرؤية هي كونه قائما بالذات ... فما كان قائما بالذات يجوز رؤيته. وما لا يكون قائما بالذات يستحيل رؤيته. والله تعالى قائم

---

[٣٢] شرح رسالة الحور العين، نشوان الحمير، ص ١٨٤ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، بدون تاريخ ، تحقيق : كمال مصطفى.

[٣٣] رسائل الجاحظ ، ص ٢٠٧ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، بدون تاريخ .

[٣٤] تحدثت بالتفصيل عن هذه القضية في رسالتي الدكتوراه بعنوان "جهود الزيدية في الرد على الباطنية"، مقدمة إلى قسم الفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة سنة ٢٠٠٥م. وطبعت بعنوان "موقف الزيدية وأهل السنة من العقيدة الإسماعيلية وفلسفتها"، ص ٢٢-٢٤، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ٢٠٠٩م.

[٣٥] الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، ص ١٥، دار الآفاق الجديدة، بيروت-لبنان، ١٩٧٧م.

[٣٦] التبصير في الدين، ص ٢٤ ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ط١/١٤١٩هـ - ١٩٩٩م ، تحقيق : محمد زاهد الكوثري.

[٣٧] شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، ٢٤٩-٢٥٣، تعليق: أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٦م.

بالذات فكان جائز الرؤية، وهذا رد على المعتزلة الذين يعلقون الرؤية بالجسم ، ويقولون إنه لا يعتقد أحد أن الله يرى إلا ويعتقد أنه جسم لذا يقول الماتريدية بأن الله يرى لأنه قائم بالذات لا لأنه جسم ... ويقولون بهذا لدفع حجة المعتزلة لا لإثبات الرؤية ... إذ إن الأدلة العقلية عندهم هي لدفع حجج الخصوم في الرؤية أما إثبات الرؤية فطريقها السمع [٣٨].

وفي قضية الشفاعة أشار الإمام الماتريدي إلى رأي المعتزلة بأنها لا تكون إلا لأهل الخيرات خاصة الذين لا ذنب لهم، أو كان لهم ذنب فتابوا عنه، ثم أوضح بخطأ هذا الرأي فقال: "وأما عندنا، فإن الشفاعة تكون لأهل الذنوب، لأن من لا ذنب له لا حاجة له إلى الشفاعة، وقوله: ﴿الَّذِيْنَ يَحْمِلُوْنَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِيْنَ تَابُواْ وَاتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ -غافر: ٧-، تكون فهم ذنوب في أحوال التوبة، فإنما يغفر لهم الذنوب التي كانت لهم، فقد ظهر الاستغفار لأهل الذنوب، فعلى ذلك تكون شفاعة، والشفاعة التي يستوجبها أهل الذنوب إنما وجبت بالطاعات التي كانت لهم، لأن أهل الإيمان -وإن ارتكبوا مأثما ومعاصيا- فإن لهم طاعات، فبتلك الطاعات يستوجبون الشفاعة"[٣٩]. وقام الإمام أبو المعين النسفي بالرد على المعتزلة بقوله ﷺ: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) [٤٠]، مشيرا إلى أن هذا الحديث يبطل تأويل المعتزلة في حصر الشفاعة أنها للمطيعين في زيادة الثواب والفضل[٤١].

وتطرَّق الماتريدية إلى قضية أخرى في الرد على المعتزلة في إنكارهم للكرامة، وذلك أن الكرامة ثابتة عند الماتريدية[٤٢] بأدلة منها قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ -آل عمران، ٣٧-. فظهر لها من الطعام والشراب واللباس عند الحاجة، ما لم يظهر لغيرها. وما ذكره الله عن إتيان أصحاب سليمان عليه السلام، بعرش بلقيس قبل ارتداد الطرف، مع بعد المسافة، قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ -النمل، ٤٠-. إضافة إلى الأخبار المنقولة عن الصحابة ومن بعدهم. منها ما يكون فيه اندلاع المتوجه من البلاء، وكفاية المهم من الأعداء، مثل قول عمر بن الخطاب ﷺ وهو على المنبر بالمدينة، وجيشه بنهاوند، "يا سارية الجبل، تحذيرا له من

---

[٣٨] تبصرة الأدلة في أصول الدين، أبو المعين النسفي، ٥٩٥/٢، المكتبة الأزهرية للتراث، ط١/٢٠١١م.

[٣٩] تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، ص ٥٩٠ – ٥٩١، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ٢٠٠٤م.

[٤٠] أخرجه أحمد في مسنده، رقم: ١٣٢٢. والترمذي في سننه، رقم: ٢٦٢٢.

[٤١] التمهيد لقواعد التوحيد، أبو المعين النسفي، ص ١٤٤، المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠٠٦م. وانظر: تبصرة الأدلة في أصول الدين، أبو المعين النسفي، ١٠٦٨/٢، المكتبة الأزهرية للتراث، ط١/٢٠١١م.

[٤٢] التمهيد لقواعد التوحيد، أبو المعين النسفي، ص ٨٢، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة،، ٢٠٠٦م.

وراء الجبل، لمكر العدو هناك، وسماع سارية كلامه مع بعد المسافة، وكشرب خالد بن الوليد ﷺ السم من غير تضرر به، وكجريان النيل بكتاب عمر ﷺ، وأمثال هذا كثير[٤٣].

فهذه أدلة على ثبوت الكرامة عند الماتريدية، قال التفتازاني: "والدليل على حقية الكرامة، ما تواتر عن كثير من الصحابة ومن بعدهم، بحيث لا يمكن إنكاره، خصوصا الأمر المشترك، وإن كانت التفاصيل آحادا، وأيضا الكتاب ناطق بظهورها من مريم، ومن صاحب سليمان عليه السلام، وبعد ثبوت الوقوع لا حاجة إلى إثبات الجواز[٤٤].

وقال أبو المعين النسفي ردا على المعتزلة الذين ينكرون كرامات الأولياء: "ظهور الكرامة على طريق نقض العادة للولي جائز عندنا غير ممتنع ... وأهل الحق أقروا بذلك بما اشتهر من الأخبار، واستفاض من الحكايات عن الأخبار ... فلا وجه إلى رد ما انتشر به الخبر عن صالحي الأئمة في ذلك . وما ظنوا -أي المعتزلة- أنه يؤدي إلى انسداد طريق الوصول إلى معرفة النبي والرسول ... فظن باطل، بل كل كرامة للولي تكون معجزة لرسول، فإن بظهورها يعلم أنه ولي، ولن يكون وليا إلا وأن يكون مؤمنا برسالة رسوله، فمن جعل ما هو معجزة للرسول ودلالة صدقه، مبطلا للمعجزة، وسادا لطريق الوصول إلى معرفتها، فقد وقع في غلط فاحش، وخطأ بين. ثم كيف يؤدي ذلك إلى التباء الكرامة للمعجزة، والمعجزة تظهر على أثر الدعوة، والولي لو ادعى الرسالة لكفر من ساعته، وصار عدوا لله -تعالى-، ولا يتصور بعد ذلك ظهور الكرامة على يده. وكذا صاحب المعجزة لا يكتم معجزته، بل يظهرها، وصاحب الكرامة يجتهد في كتمانها"[٤٥].

الرد على الشيعة

تُعدُّ الإمامة أو الخلافة من أهم الأسباب التي أدت إلى اختلاف المسلمين، وتفرقهم إلى جماعات، وفرق، ومذاهب، فمنذ الخلافة الراشدة -وحتى الآن- والصراع بين المذاهب الإسلامية قائم حول من له الأحقية في تولى الإمامة (اصطلاح شيعي) أو الخلافة (اصطلاح سني) أو الرئاسة (اصطلاح معاصر) فالشيعة —على مختلف فرقها ومذاهبها وطوائفها— تقول: إن إمامة المسلمين حق منصوص للإمام عليّ عليه السلام من بعد وفاة النبي ﷺ . ويرون أن الإمامة ليست قضية مصلحية تناط باختيار العامة؛ إنما هي ركن من أركان الدين أو أصل من أصول الدين، بل من أهم أصوله، فالحق السياسي في نظر الشيعة لآل البيت وحدهم[٤٦]. وفي الجانب الآخر نجد أهل السنة والجماعة -الأشعرية والماتريدية- ينادون بالخلافة القائمة

---

[٤٣] انظر: السيوطي في جامع الأحاديث، رقم: ٢٩٦٧٣. ابن حنبل في فضائل الصحابة، ٨١٥/٢.

[٤٤] شرح العقائد النسفية، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، ص ١٣٤ وما بعدها، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، بدون تاريخ. وبهامشه "فرائد القلائد في تخريج أحاديث العقائد، ملا علي القاري الحنفي.

[٤٥] التمهيد لقواعد التوحيد، أبو المعين النسفي، ص ٨٢، المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠٠٦م.

[٤٦] راجع:

على أساس الإختيار وإجماع الأمة ممثّلة في أهل الحل والعقد. إذن يرون أن الخليفة المختار بإجماع الأمة خليفة لرسول الله ﷺ. والجدير بالذكر أن علماء الكلام السني اضطروا إلى أن يدرجوا في مؤلفاتهم العقدية أو ما يعرف بـ "علم أصول الدين"مباحث الإمامة، كردود فعل لما قامت به الشيعة من جعلها أهم القضايا الدينية، فعدّوها من أعظم أركان الإيمان(٤٧).

وفي مشهد المجادلات الكلامية، حاول علماء الماتريدية أن يقف أمام الشيعة في هذه القضية السياسية، وفي هذا صرَّح أبو المعين النسفي بأن الكلام في هذا الباب يطول جدا، ويرى حماقة الشيعة في القول بأن الإمام ينبغي أن يكون عالما بكل الأمور وأن يعلم الغيب، وحصيلة القول بأن الإمام معصوم كالنبي ﷺ ... فرد عليهم بأن من شرط أن يكون الإمام عالما بأمور الدنيا أو يعلم الغيب، فقد جعل درجة الخلافة أعلى من درجة النبوة(٤٨). وفي آخر كتاب "التمهيد لقواعد التوحيد"، يثبت أبو المعين النسفي خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة، أبو بكر، عمر، عثمان، مناقشا للشيعة بأنه لو كان أبو بكر رضي الله عنه غصب الحق من علي رضي الله عنه كيف لم يشهر علي سيفه ولم يطلب حقه؟(٤٩).

ومن ناحية أخرى يطالب الماتريدية الشيعة الكفّ عن سب الصحابة لأن هذه من المبالغات في البغض، يقول سعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد: "يجب تعظيم الصحابة والكف عن مطاعنهم ... والطعن فيهم بناء على حكايات وافتراءات لم تكن في القرن الثاني والثالث. فإياك والإصغاء إليها، فإنها

المصادر الزيدية : القاسم الرسي ، تثبيت الإمامة ، ص ٥٥ . الصاحب بن عبّاد ، الزيدية ، ص ٥٣ – ٥٤ . يحي بن حمزة ، المعالم الدينية ، ص ١٣١ ، ١٤٤ . أحمد بن المرتضى ، كتاب القلائد في تصحيح العقائد، ١٠٧/١ ، ضمن مقدمة البحر الزخار . أحمد الشرفي ، شرح الأساس الكبير ، ٧٤/١ – ٧٥ .

المصادر الإمامية الإثني عشرية : الكليني ، أصول الكافي ، ٣٢٧/١ . الشيخ المفيد ، الإفصاح في إمامة عليّ بن أبي طالب ، ص ١٦ . ابن المطهر الحلي ، منهاج الكرامة ، ص ١١٣ ، ١١٥ ، ١٤٩ . الفيض الكاشاني ، تفسير الصافي، ٤٤/٢ .

المصادر الإسماعيلية الباطنية : الداعي أبو يعقوب السجستاني ، كتاب الاقتصار ، ص ٧٢ . القاضي النعمان بن محمد، دعائم الإسلام ، ١٤/١ – ١٦ ، ٣٧ . الداعي جعفر بن منصور اليمن ، كتاب الكشف ، ص ١٣٩ – ١٤٠ . الداعي علي بن الوليد ، دامغ الباطل وحتف المناضل ، ١٠٢/٢ – ١٠٣ . ، الداعي حسن بن نوح، كتاب الأزهار ومجمع الأنوار ، ص ١٨٤ ، ٢١٦ وما بعدها ، ضمن منتخبات إسماعيلية ، تحقيق : د. عادل العوا .

(٤٧) لذلك رأينا أن الإمامة هي الحجر الأساسي في المذاهب الشيعية –الزيدية، والإمامية الإثنى عشرية، والإسماعيلية الباطنية–، فاتفقوا جميعا في اعتبارها من أصول الدين. انظر: القاسم بن محمد، كتاب الأساس لعقائد الأكياس، ص ١٥٩. أحمد الشرفي، شرح الأساس الكبير، ٢٠٦/١. محمد بن القاسم الحوثي، الموعظة الحسنة، ص ٤٢. ابن المطهر الحلي، منهاج الكرامة، ص ٢٧، الداعي أحمد النيسابوري، كتاب إثبات الإمامة، ص ٢٧، ٧١.

(٤٨) تبصرة الأدلة في أصول الدين، أبو المعين النسفي، ١١٠٣/٣، ١١٢–١١٣، المكتبة الأزهرية للتراث، ط١/٢٠١١م.

(٤٩) التمهيد لقواعد التوحيد، أبو المعين النسفي، ص ١٥٩، المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠٠٦م.

تضل الأحداث، وتحير الأوساط ... ولا فيما بين العترة الطاهرة، بل ثناؤهم على عظماء الصحابة وعلماء السنة، والمهديين من خلفاء الدين مشهور وفي خطبهم ورسائلهم وأشعارهم ومدائحهم مذكور"[٥٠].

الرد على الخوارج

الخاتمة

مما سبق يتضح لنا جهود علماء الماتريدية في خدمة العقيدة الإسلامية بالرد على المخالفين لعقيدة أهل السنة والجماعة، والماتريدية –إلى جانب الأشعرية –كممثلين لعقيدة أهل السنة والجماعة في العالم الإسلامي لها شهرتها في جنوب شرق آسيا وفي استطاعتهم الحفاظ على الاستقرار الديني بمنهج الوسطي.

مراجع البحث

- الإباضية في موكب التاريخ، علي يحيى معمر، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب – سلطنة عمان، ٢٠٠٨م.
- أبوحنيفة النعمان وآراؤه الكلامية، شمس الدين عبد اللطيف، رسالة ماجستير بكلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مصر، ١٩٩٩م. بإشراف: أ.د/ أحمد محمود صبحي.
- اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، الزبيدي، ٦/٢، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت–لبنان، ١٩٩٤م.
- بحر الكلام، أبو المعين النسفي، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان–الأردن، ٢٠١٤م.
- تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، ٢٠٠٤م.
- تبصرة الأدلة في أصول الدين، أبو المعين النسفي، المكتبة الأزهرية للتراث، ط١/٢٠١١م.
- التبصير في الدين، أبو المظفر الإسفراييني، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ط١/١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، تحقيق : محمد زاهد الكوثري.
- التمهيد لقواعد التوحيد، أبو المعين النسفي المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠٠٦م.
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبد القادر القرشي، مير محمد كتب خانه، كراتشي.
- دراسات في التاريخ والآثار، عبد الحسين مهدي الرحيم، العدد ٥، سنة ١٤٠٧ هـ.
- رجال الفكر والدعوة، أبو الحسن الندوي، دار السلام، القاهرة — مصر، ٢٠١١م.

---

[٥٠] شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني، ٣٠٣/٥-٣٠٤، عالم الكتب، بيروت–لبنان، ١٩٩٨م.

- رسائل الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن الجاحظ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، بدون تاريخ .
- الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ١٩٩٩م.
- شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، تعليق: أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٦م.
- شرح العقائد النسفية، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، بدون تاريخ. وبهامشه "فرائد القلائد في تخريج أحاديث العقائد، ملا علي القاري الحنفي.
- شرح رسالة الحور العين، نشوان الحمير، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، بدون تاريخ ، تحقيق : كمال مصطفى.
- العقيدة الإسلامية والقضايا الخلافية عند علماء الكلام، كمال الدين نور الدين مرجوني، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ٢٠١٤م.
- الفتح المبين في طبقات الأصوليين، عبد الله مصطفى المراغي، نشره محمد علي عثمان، القاهرة، ١٩٤٧م.
- الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، دار الآفاق الجديدة، بيروت–لبنان، ١٩٧٧م.
- الفهرست، ابن النديم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت — لبنان، بدون تاريخ.
- الماتريدية –دراسة وتقويما–، ٨أحمد الحربي، دار العاصمة للنشر والتوزيع، السعودية، ١٤١٣هـ.
- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، الرازي، مكتبة الأزهرية، القاهرة، بدون تاريخ.
- مدخل إلى علم الكلام، كمال الدين نور الدين مرجوني، جامعة العلوم الإسلامية الماليزية، ٢٠١١م.
- المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس، توفيق بن أحمد الغلبزوري الادريسي، ومابعدها، دار ابن حزم، الرياض، الطبعة الاولى ١٤٢٧هـ.
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، طاش كبري زاده، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٩٣م.
- موقف الزيدية وأهل السنة من العقيدة الإسماعيلية وفلسفتها"، كمال الدين نور الدين مرجوني، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ٢٠٠٩م.
- نشأة الفرق وتفرقها، كمال الدين نور الدين مرجوني، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ٢٠١١م.

- وسطيقة الإمام الماتريدي في تقرير العقيدة الإسلامية، كمال الدين نور الدين مرجوني، ضمن بحث المؤتمر المنعقد بكلية الإلهيات، جامعة مرمرة سنة ٢٠١٨م بعنوان: "الإمام الماتريدي وتأويلات القرآن"، وطبع البحث في كتاب بعنوان:

- İmâm Mâtürîdî Ve Te'vîlâtü'lkur'ân ،Marmara Üniversitesi İlahiyat ،Istanbul 2019
- Federal Constitution of Malaysia, Reprint as at 1 November 2010
- Seksyen 39, Enakmen Pentabiran Agama Islam Perak, 1992
- http://www.utusan.com.my/rencana/utama/manhaj-aswj-perlu-dipertahankan-1.465334
- www.unissa.edu.bn